الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B.P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في اميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

الجزائر المستقلة والثورة

بقلم الدكتور عبد العزيز عبد الدائم

لاستقلال الجزائر معان تباين اعمق المباينة المعاني التي ألفناها في استقلال البلدان العربية الاخرى . وهذه المعاني تعطي لهذا الاستقلال اتجاها خاصا وتضعه امام مشكلات جديدة، هي التي أثارت استغراب أولئك الذين يحاولون ان ينظروا اليها نظرة ظاهرة ، فيحسبونها خلافات وضروبا من النزاع الشخصي .

لقد قام الكفاح في معظم الاقطار العربية الاخرى ضد الاستعمار ، ضمن جو مختلف عن الجو الذي قدر لكفاح الجزائر ضد فرنسا . لقد كانت تلك الاقطار خاضعة للانتداب ـ من حيث التسمية الدولية ـ وان يكن ذلك الانتداب لونا من الوان الاستعمار . ولم يكن الاستعمار يدعي بالتالي أي حق دائم في البلد العربي الذي يحكمه ، واي سبب قربى بينه وبين أبنائه ، أما في الجزائر فالشأن مفارق لهذا . ان فرنسا تعتبر الجزائر جزءا منها ، وهي تقيم فيها بجيوشها وبمستوطنيها منذ اكثر من قرن وربع ، محاولة خلالها ان تمحو كل طابع ذاتي لها وان تحقق دمجها النهائي بفرنسا .

وهكذا كانت المعركة ضد فرنسا في الجزائر معركة لا كالمعارك ، وكان تحقيق استقلال الجزائر عملا يتطلب من الصلابة والعزيمة مايفوق اعمق معاني الثورة وأقساها ، لقد كان يتطلب موقفا يصهر المناضلين في مغامرة قومية وانسانية كبرى، طريق الحياة فيها هو طريق الموت ، وسبيلها سبيل من تنازل عن الحياة فذلت له الحياة ودانت .

ولقد كان طبيعيا بالقياس الى من وقف هذا الموقف الجذري الرهيب خلال سنوات سبع ، توجت نضالا طويلا متصلا ضد الاستعمار ، ان تكون نظرته الى مابعد الاستقلال نظرة ثورية صارمة ، وان يكون أكثر وعيا لمشكلات مابعد الاستقلال من أي بلد عربي اخر ، وان يكون حريصا على ان يكون ذلك الاستقلال بداية لحرية كاملة حقيقية « جذرية » ايضا .

لقد ادرك قادة الثورة ـ وسط لهيب النضال العنيد ـ ان بناء الاستقلال لايقل شأنا عن نيل الاستقلال ، وان ذلك البناء ينبغي ان يكون امتدادا طبيعيا لمعركة الحصول على الاستقلال وترجمة واقعية لها ، وان يكون بالتالي في منأى عن أي بذرة من بذور الفساد التي يمكن ان تشوه معناه فيما بعد وتدك جذوره من جديد .

لقد ادركوا ان معركة الاستقلال لم تكن من اجل جلاء الاجنبي عن البلاد وانما كانت من اجل حرية الشعب العربي في الجزائر ورفع مستواه القومي والانساني ، بل من اجل حرية الشعب العربي وحرية الانسان أنى كان . ولم يخطر لهم ببال ان يقف النضال يوم الاستقلال وان يكون ذلك الاستقلال ـ بمعناه السلبي ـ خاتمة المطاف ونهاية المرحلة .

لقد أفادوا في هذا السبيل من تجارب البلدان العربية الاخرى ومن تجارب الكثير من بلدان العالم ، فأدركوا ان الاستعمار كثيرا مايرحل ليعود متسترا مقنعا ، وان اخطر اشكال الاستعمار اليوم هو مايعرف باسم « الاستعمار الجديد » الذي يتمثل في فرض السيطرة الاقتصادية والسياسية المقنعة على البلد المستقل في الظاهر .

وهكذا وعت الثورة ـ بفضل ظروفها الخارقة العسيرة وبفضل افادتها من التجربة التي عانت منها معظم البلاد العربية وما تزال تعاني ـ ان الحرية التي تحارب من اجلها لابد ان تكون تحررا من الاستعمار ، الظاهر والباطن ، ولا بد لذلك ان

تكون تحررا من الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي تمهد السبيل بدخول الاستعمار مقنعا متسترا .

ومن هنا كان العمل على اقامه نظام اجتماعي وسياسي ثوري في الجزائر هو التتمة الطبيعية لثورة التحرر . ولهذا بادر المؤتمر الوطني للثورة الجزائرية الذي انعقد في ايار الماضي الى تبني المشروع الذي اسهم فيه مجموعة من الخبراء والشباب مع المناضل بن بللا . وفيه أقر المؤتمرون بالاجماع السير في الخط الاشتراكي الثوري ، مؤكدين انه لايجوز لجزائر ، وهي في مرحلة الاستقلال ، ان تقع في نطاق « الاستعمار الجديد » ، ولا بد لها بالتالي من انتهاج سياسة اقتصادية اشتراكية . وادان ذلك المؤتمر النهج البورجوازي الذي يفسح للبورجوازية الوطنية في الدولة المتحرره حديثا مجال احتلال القطاعات المحررة ، من غير ان تجري تبديلا في البنيه الاجتماعية ، وقرر اتخاذ خطوات عديدة تحدد « المراحل الاولى للثورة الشعبية الديمقراطية » .

ان تجربة الجزائر الخاصة علمت قادته حقائق راسخة لاينسونها : وهي ان اهم جذور الاستعمار الفرنسي في الجزائر كانت تلك القوى الراسماليه التي كانت تتحكم في ثروه البلد وخيراته . وورات رؤيا الصين كيف وصل الامر بهذه الطبقه الرأسمالية ـ مالكة الكروم والاعناب وتجاره البر والبحر ومختلف قوى الانتاج ـ ان غدت تتحكم في الحكومة الفرنسية نفسها وتفرض عليها اغراضها . لقد ادركت الحكومات الفرنسية نفسها قيام ثورة الجزائر ان حرب الجزائر خرب لا بد ان تكون فرنسا هي الخاسره فيها ، وتمنى كثير من السياسيين منذ ذلك الحين ان يصلوا الى التفاوض مع ممثلي جيش التحرير من اجل الوصول الى حل . ولكن قوى الراسماليين المقيمين في الجزائر كانت دوما هي العقبه وكانت اقوى من الحكومات الفرنسيه المتتابعة . وهكذا اكرهتها على خرب لاتجاب لفرنسا سوى العار والدمار ، تحقيقا لمصلحة حفنة من كبار المتمولين الفرنسيين المقيمين في الجزائر والمنتفعين من استغلال ثرواتها ، حتى صغار المستوطنين الفرنسيين كانوا يتمنون في اعماقهم الوصول الى تسوية عادلة وصحيحة لقضية الجزائر ويرجون الحياة مواطنين جزائريين في الجزائر المستقلة ، ولكنهم كانوا بدورهم تحت ارهاب القلة من أصحاب رؤوس الاموال الكبيرة .

هذا الدرس الممتاز وعاه قادة الثورة أعمق الوعي ووعوا معه حقائق خالدة لاتتزعزع : وعوا أن القوى الراسمالية هي التي تتحكم في سياسة الحكم ، وان الرأسمالية الاجنبية التي زالت بزوال الاستعمار الفرنسي لن تحل محلها رأسمالية مخلية ستكون مصالحها من جديد مرتبطة لا محالة بمصالح الاستعمار ، ومن هنا وقفوا هذا الموقف الجذري مناديين بنظام اشتراكي في الجزائر المستقلة ، قوامه الجماهير الشعبية ، وعماده «الوحدة العمالية الفلاحية » . لقد كانت امام ثوار الجزائر تجارب ، وتجارب : كانت امامهم تجارب « كوبا » ومأساة سكرها مع الرأسماليين وخضوعها لسلطان الاستعمار الامريكي بسبب أولئك الرأسماليين ، كانت امامهم تجارب البلدان العربية الشقيقة وما تدور فيها من معارك ضخمة بين الاتجاهات الشعبية الاشتراكية التي تدعمها قوى الكثرة من جماهير الشعب العربي وبين الرأسمالية والرجعية التي تدعمها قوى الاستعمار والصهيونية . انها تدرك أعمق الادراك ان الاستقلال الحقيقي لمعظم الدول العربية المستقلة مايزال في واقعه مهددا منقوصا بسبب تشويه البنية الاجتماعية والاقتصادية في تلك الدول ، وما ينجم عن ذلك التشويه من ابعاد لقوى التحرر الحقيقي ، قوى الشعب وجماهيره .

والثورة تدرك فوق هذا وذاك ان الهدف النهائي لنضال العرب جميعهم في سبيل وجودهم ، نعني هدف الوحدة العربية والكيان العربي الحضاري القومي ، مهدد بتلك القوى الرجعية ، وانه يخوض معركة ضارية مع اعداء الوحدة الطبيعيين وعلى رأسهم قوى الرجعية والاستعمار والصهيونية .

ولهذا كان اي انطلاق في طريق الوحدة الصحيحة لايمكن ان يتم ضمن اطار القوى الرجعية التقليدية ، ولا يمكن ان يقوم الا على سواعد الجماهير الشعبية حين تتحرر من عقالها ضمن نظام اشتراكي شعبي ، وضمن جو ديمقراطي يفسح المجال لنماء قواها وتكتلها . ومن هنا كانت تلك الكلمه التي اطلقها بن بللا حديثا جوابا على سؤال له حول وحدة المغرب العربي ، حين بين بوضوح ان هذه الوحدة لايجوز ان تكون من نوع الوحدات التي يعمل لها الإستعمار ، كوحدة الهلال الخصيب او غيرها .

ان امام قادة ثورة الجزائر اليوم تجربة فذة في هذا السبيل ، هي تجربة الوحدة بين مصر وسورية ، وهم يدركون بأسى مابعده أسى ان اهم اسباب فشل تلك التجربة الغالية عزلها للقوى الجماهيرية الشعبية الحقة وانطلاقها في طريق القومية والاشتراكية دون الاعتماد على ركائزه الحقيقية ، وقيامها بالتالي بتجربة قومية واشتراكية مبتورة لم تعرف ان تكون فاصلا قاطعا بين قوى الشعب وبين قوى مستغليه .

وهكذا أفسحت المجال للرجعية العربية ويسرت لها سبيل الانقضاض على الوحدة والاشتراكيه حين لم تربط الوحدة والاشتراكيه ببناتهما الحقيقيين ، وحين جعلت منهما عملا رسميا فاترا بدلا من ان يكونا عملا شعبيا من الطراز الاول تتكتل فيه قوى الجماهير والقوى المؤمنة في الامة من اجل حمايه اهدافها التي تؤمن بها .

هذه التجارب كلها تجار امام انظار رجال ثورة الجزائر ، ومن فوقها تجارب وتجارب خبروها خلال ثقافتهم ونضالهم . وفوق هذا وذاك الايمان الصلب الذي يحمله من خاض معركة الموت ، فلن يهاب بعدها معركة .

انها كلها سبب مانشهد اليوم في الجزائر من رغبة في الاستمرار بروح الثورة ، والتنكر لالغاء السلاح ـ بكل معانيه ـ بعد ان حققت الثورة اكبر انتصار لها ، إنها سبب مانراه من ثورة الثورة على نفسها لتجاوز ذاتها أبدا ولكي لاتركن الى لذة النصر وترف الظفر . ان الثورة تدرك ان التحرر من الاستعمار والتحرر من التخلف الاقتصادي والاجتماعي صنوان لايفترقان ، وان الحرية لاتكون الا اذا قام جنبا الى جنب عمل في سبيل تحرير جماهير لشعب من عبودية اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة ، وعمل في سبيل بناء الوحدة العربية التي هي الوقاية النهائية من كل استعمار وتخلف ، وعمل في سبيل بناء المجتمع على أساس نظام ديمقراطي ثوري يفتح طاقات القوى الحقيقية الحامية لكل هدف ، قوى جماهير الشعب

ان ثورة الجزائر تريد ان تكون هي الثورة العربية الحقة ، كما كانت في نضالها ضد الاستعمار المثال الذي يحتذيه كل نضال . انها تريد ان تبدأ منذ الخطوة الاولى بدءا صحيحا لا مشوها وأن تحطم قبل ولادتها البذور التي تعطل المعاني القومية والانسانية الهائلة التي تحملها الثورة . انها منذ البداية ـ وبمثل العزم الذي انتهجته في ثورتها ضد الاستعمار ـ لن تقبل ان يكون الاستقلال مهدا لتسلل الاستعمار من جديد ، ولن تقبل ان يكون الاستقلال استغلالا تقوم به فئة على حساب الاكثرية ، ولن تقبل ان يكون استقلال الجزائر خاتمة المطاف ، ولا بد ان تجعل منه بداية الثورة العربية الكبرى والوحدة العربية الكبرى .

وهي في هذا كله تعي الاهداف القومية والانسانية لثورتها ، وتجعل هذه الاهداف لب الثورة ومعناها ، انها تدرك ان خاتمة ثورتها الانسانية الكبرى ، سوف تكون تحرير الانسان العربي من كل صنوف العبودية واطلاق قواه وطاقات الابداع لديه وخلق الحضارة العربية الموحدة المبدعة ، في سبيل تقدم الانسان وغنى الانسانية .

عبد الله عبد الدائم